مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ

ك . ك

هم ضربوا حيدرا (١) ساجدا وحسبك من عمر إذ طعن

« أبو العلاء »

مصرع عمر (٢)

« . . . . ودخل « أبو لؤلؤة » في الناس ، في يده خنجر ، له رأسان ، فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سرته ، وهي التي قتلته » « المؤرخون »

---

(١) صفته

رجل أبيض ، تعلوه حمرة ، أشيب أعلم ، يصفر لحيته بالحناء ، ويرجل رأسه ، أعسر ، أيسر ، طوال يمشي كأنه راكب .

---

(١) علي بن أبي طالب

(٢) عمر بن الخطاب ، ثاني الخلفاء الراشدين ، أسلم بعد خمسة واربعين رجلا واحدى وعشرين امرأة ، بويع بالخلافة بعد وفاة ابي بكر بيوم واحد ، ومكث في الخلافة عشر سنوات وستة أشهر وأياما ثمانية !

قالوا : وهو أول من لقب بأمير المؤمنين ، تفاديا من لقب « خليفة خليفة رسول الله ! »

قال بعض من رآه :

رأيت عمر يأتي العيد حافياً ، أعسر ، أيسر ، متلبباً بُرداً قطرياً ، مشمراً على الناس — كأنه على دابة ، وهو يقول :

أيها الناس هاجروا ، ولا تهجّروا »

(٢) اخلاقه

ويا أبا محمد ! قد زمقته ، فرأيتني اذا غضبت على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه ، واذا لنت له ، أراني الشدة عليه »

« ابو بكر »

هذا هو أظهر أخلاق عمر — رضي الله عنه — الميل الشديد الى التوازن ، أو المساواة ، يخشى أن يفسد الناس ، اذا لان ، أو يرغمهم ويذلهم اذا اشتد ، فيسلك طريقاً وسطا بين الشدة واللين

لقد كان — رحمه الله — ورعا متقشفاً زاهداً ، كما كان حكيما واسع الخبرة باخلاق العرب ، قوي الشكيمة ، لا يتردد لحظة في احقاق الحق وانصاف المظلوم من ظالمه ، يرى أن أحقر أفراد رعيته وا كبر أمراء الدولة سواء في الحق ، وهو صاحب القولة المشهورة في احدى خطبه : « من ظلمه أمير ، فلا إمرة عليه دوني ! »

وقد روى لنا التاريخ عن سهره على رعيته وعدله وانصافه وديمقراطيته ، شيئاً كثيراً ، نجتزىء منه بما رواه الغزالي اذ يقول :

« ارسل قيصر رسولا الى عمر بن الخطاب ، لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال :

« أين ملككم ؟ » فقالوا : « ما لنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة ! » فخرج الرسول في طلبه فرآه نائماً في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد وضع درّته كالوسادة ، والعرق يسقط من جبينه الى ان بل الارض ، فلما رآه على هذه الحالة ، وقع الخشوع في قلبه وقال : « رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته ، وتكون هذه حالته ! ولكنك ياعمر عدلت فنمت ، وملكنا يجور ، فلا جرم انه لا يزال ساهراً خائفاً ! »

(٣) لماذا قتل ؟

ولهذا الخبر اضراب واشباه ، وقد كان من الطبيعي جداً ، ان تنتهي حياة هذا العادل الساهر على مصالح رعيته بسلام ، كما انتهت حياة ابي بكر ، رضي الله عنهما ، ومهما يجهد الباحث نفسه في تلمس اسباب وجيهة يعلل بها مقتله ، فلن يظفر من ذلك بشيء ذي خطر ، لقد عدل عمر ، والعدل اساس الملك ، وقام في الناس مثالا عالياً للشرف ، والنزاهة ، والبعد عن التحيز ، وتضحية كل ما أوتي من عزم وقوة وصحة ووقت ومال في سبيل النفع والخير العام ، فلم يكن يدور بخلد انسان عاقل أن يغتال حياة هذا الخليفة النزيه العادل المحسن ، الا اذا جاز في العقل أن يفكر الساري في تحطيم مصباحه الذي ينير له الطريق ، أو يقدم القاطن على هدم داره وتخريب بيته بيديه !

لذلك نستبعد جدا أن تكون هناك مؤامرة مدبرة ضده ، وان كنا لا نجزم باستحالة حدوثها !

وأوجز ما نعلل به موته ان نزوة طائشة ، قامت برأس غلام مأفون ، قضت على حياة هذا المصلح الكبير !

(٤) كيف كان مصرعه ؟

قالوا :

خرج « عمر بن الخطاب » يوما يطوف في السوق ، فلقيه « ابو لؤلؤة » غلام « المغيرة بن شعبة » فقال : « يا أمير المؤمنين ! أعْدني على المغيرة بن شعبة ، فان علي خراجا كثيراً ! »

قال : « وكم خراجك ؟ » قال : « درهمان في كل يوم ! » قال : « وايش صناعتك ؟ » قال : « نجار ، نقاش ، حداد ! » قال : « فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني انك تقول : لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح ، فعلت ! » قال : « نعم ! » قال : « فاعمل لي رحا ! »

تقول ! وكأنما نبهت في نفسه هذه الجملة خاطراً شريراً كان غائباً عنه ، وحركت فيها نزوة من نزوات الاجرام ، فقال مورياً :

« ان عشت لأعملن لك رحا يتحدث بها من في المشرق والمغرب ! »

ثم انصرف عنه ، فقال عمر ! « لقد توعدني العبد »

قالوا ، بعد كلام لا يتسع هذا المقام الى تحقيقه ومناقشته ، : « وقد مر على هذا الوعد ثلاثة ايام » — :

(٥) يوم المصرع !

وفي صبيحة اليوم التالي ، خرج عمر الى صلاة الصبح ، وكان يوكل بالرجال صفوفا يسوونها ، فاذا استوت ، جاء هو فكبّر !

ودخل « أبو لؤلؤة » في الناس ، في يده خنجر ، له رأسان ، نصابه في وسطه فضرب « عمر » ست ضربات ، احداهن تحت سرته ، وهي التي قتلته ، وقتل معه « كليب بن أبي البكير الليثي » وكان خلفه ، فلما وجد عمر حر السلاح ، سقط ، وقال « أفي الناس عبدالرحمن بن عوف ؟ » قالوا : « نعم هو ذا ؟ » قال : فتقدم ، فصلّ بالناس — وعمر طريح — ثم احتمل فادخل داره ، فنادى عبدالله بن عمر ، وقال : « اخرج فانظر من قتلني ! » قال : « ياأمير المؤمنين ! قتلك « ابو لؤلؤة » غلام المغيرة بن شعبة ، فحمد الله ان لم يقتله رجل سجد لله سجدة !

ثم جعل الناس يدخلون عليه ، المهاجرون والانصار ، فيقول لهم : « اعن ملأ منكم كان هذا ؟ » فيقولون : « معاذ الله ! »

قالوا :

ودعوا له بالطبيب فلم يجد للقضاء حيلة ، وتوفي ليلة الاربعاء — لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ ، ودفن بكرة يوم الاربعاء في حجرة عائشة مع صاحبيه ، حسبما اوصى !

الدكتور ف . كازاكوف

نقل الدكتور ف . كازاكوف الشهير عيادته من شارع بورصة نمرة ٢ بشارع فؤاد الاول الى عيادته الجديدة الواسعة بشارع سليمان باشا نمرة ٣٢ أمام ناسيونال اوتيل وقد زاد استعداده لازضاء مرضاه وتوفير أسباب الراحة لهم